السياق ودوره في تحديد دلالة الأفعال الإنشائية: سورة الإسراء أنموذجاً

أ. زينب أبوالعيد مبروك*
كلية التربية ككلة، جامعة غريان، ليبيا
البريد الالكتروني: rrehamalkone@gmail.com
تاريخ الارسال 2025/6/5م تاريخ القبول 2025/9/2م

The Context and Its Role in Determining the Meaning of Illocutionary Verbs: A Study of Surah Al-Isra as a Model

Zainab Abu Al Eid Mabarouk*
Faculty of Education, University of Gharyan, Libya

Abstract:
Semantics is one of the most important branches of rhetoric, focusing on the study of structures in terms of their suitability for the context. It is the science that reveals the relationship between linguistic form and the intended meaning within the context. Among the tools of this science are the declarative verbs, which serve as rhetorical tools for influence and persuasion. The role of context is evident in directing the meanings of these verbs within texts, particularly Qur'anic texts.
This study highlights the decisive influence of context in determining the meaning of the declarative verbs in Surat Al-Isra' and demonstrates how the Holy Qur'an employs these rhetorical devices with flexibility and depth to serve meaning and purpose. Understanding context is key to understanding Qur'anic discourse and appreciating its eloquence.
Keywords: The Context; the Meaning; Illocutionary Verbs; Surah Al-Isra as a Model.

الملخص:
يعد علم المعاني أحد أهم علوم البلاغة التي تهتم بدراسة التراكيب من حيث مطابقتها لمقتضى الحال، وهو العلم الذي يكشف عن العلاقة بين الشكل اللغوي والمغنى المقصود في السياق. ومن بين أدوات هذا العلم، تبرز الأفعال الإنشائية بوصفها وسائل بلاغية للتأثير والأقناع. ويتجلى دور السياق في توجيه دلالات هذه

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC 4.0)

الأفعال داخل النصوص، وخاصة النصوص القرآنية.

لقد أبرزت هذه الدراسة الأثر الحاسم للسياق في تحديد دلالة الأفعال الإنشائية في سورة الإسراء، وأوضحت كيف أن القرآن الكريم يوظف هذه الأساليب البلاغية بمرونة وعمق يخدم المعنى والمقصد. ويعد فهم السياق مفتاحاً لفهم الخطاب القرآني وتذوق بلاغته.

الكلمات المفتاحية: السياق ؛ دلالة الأفعال ؛ سورة الإسراء.

المقدمـــــــة :

تعد اللغة وسيلة تواصل تعتمد على أكثر من مجرد المفردات والقواعد؛ فهي تنقل معاني مركبة تتأثر بالعوامل المحيطة بالخطاب، وهو ما يعرف بالسياق أو المقام.

تشكل الأفعال الإنشائية جزءاً محورياً من الخطاب، لما لها من قدرة على أداء وظائف متعددة، كإعطاء الأوامر أو طرح الأسئلة أو التعبير عن التمني غير أن هذه الأفعال لا تفهم على وجهها الصحيح بمعزل عن السياق.

تسعى هذه الورقة إلى دراسة أثر السياق في توجيه دلالة الأفعال الإنشائية، من خلال عرض نظري وتحليل أمثلة تطبيقية.

كما توضح أو نتساءل في هذا البحث، كيف يؤثر السياق في توجيه دلالة الأفعال الإنشائية في سورة الإسراء حيث كان الهدف من البحث:

- بيان السياق اللغوي والغير لغوي في فهم الأفعال الإنشائية.
- تحليل أمثلة متنوعة من سورة الأسراء توضح أثر السياق.

أهمية البحث:

- إثراء الدراسات التداولية والبلاغية.
- تعزيز الفهم الدقيق للنصوص القرآنية.

منهج البحث:

المنهج الوصفي التحليلي، مع الاستفادة من المنهج التداولي.

المبحث الأول:

أولاً- مفهوم السياق:

السياق أصلها من أصول التفسير التي لابد للمفسر من مراعاته؛ لما له من أثر في فهم مراد الله تعالى، وبيان المعنى الصحيح للآية؛ لكونه يحدد معنى الآية من خلال سياقها. وهذا يدعونا للتعرف على معنى هذه اللقظة "السياق"، وذلك من خلال المعنى اللغوي والاصطلاحي لهذه الكلمة.

المعنى اللغوي: جاء في لسان العرب: "السوق معروف ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقاً وسياقاً وهو سائق وسواق شدد للمبالغة وتساوقت الإبل تساوقًا إذا تتابعت فهي متقاودة ومتساوقة" [1]. وجاء في معجم مقايس اللغة" (سوق) "السين والواو والقاف أصل واحد" وهو حَدْرُ الشيء. يقال ساقه يسوقه سوقاً، السّيقة: ما استيق من الدواب، ويقال سقت إلى امرأتي، صداقها، وأسفْتُهُ. والسوق مشتقة من هذا لما يساق إليها من كل شيء، والجمع أسواق...)[2]. وفي المعجم الوسيط: " ساق الحديث، سروه وسلسه، وساوقه: تابعه وسايره جاراه" [3].

وفى الاصطلاح: فإذا لاحظنا كتب الأصول عند علمائنا الإمامية، فرغم كثرة استعمالهم لهذا المصطلح لم يعقوا بحثاً لبيان المقصود منه، كأنه لدعوى وضوحه، وأمّا في علوم القرآن فهناك اصطلاح آخر قريب من معنى السياق، اهتم به، وهو ما يسمى به وهو ما يسمى بـ "لمناسبة". قال السيوطي: "وعلم المناسبة علم شريف، قلّ اعتناء المفسرين به لدقته وممن أكثر فيه الإمام فخر الدين، وقال في تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"[4].. وأمّا المعاجم الحديثة تعرف السياق بأنه: "البنية اللغوية التي يحيط بصوت أو فونيم أو مورفيم أو كلمة أو عبارة أو جملة"[5].

والحقيقة أن بعض المصطلحات يكون من الصعوبة بمكان التحديد الدقيق لمعناها ومن ذلك السياق ومع هذا حاول المعاصرين أن يحدد مفهومه.

قال صاحب كتاب دلالة السياق: "وهنا يمكن تلخيص القول في مفهوم السياق في التراث العربي في التقاط الثلاث الآتية: الأولى: أن السياق هو الفرض، أي مقصود المتكلم في إيراد الكلام.... الثانية: أن السياق هو الظروف والمواقف والأحداث التي ورد فيها النص أو نزل أو قيل بشأنها، الثالثة: أن السياق وهو ما يعرف الآن بالسياق اللغوي الذي يمثله الكلام في موضع النظر والتحليل ويشمل ما يسبق أو يلحق به من الكلام"[6].

ثانياً: الأفعال الإنشائية:-

تُعد اللغة العربية من أعرق اللغات وأكثرها غنى في بنيتها النحوية والبلاغية، وقد احتلت مكانة مرموقة بين لغات العالم لما تمتاز من دقة التعبير وثراء الأساليب.

ومن أبرز مظاهر هذا الغنى تنوع الأساليب التي يستخدمها المتكلم للتأثير في المخاطب، ويأتي الأسلوب الإنشائي في مقدمة هذه الأساليب لماله من دور أساسي في إنشاء المعاني وإبراز المقاصد. قسم النحوي الكلام إلى ثلاث شعب: اسم، وفعل،

وحرف جاء لمعنى ؛ وجاء البلاغي فنشر الكلام إلى شطرين: خبر وإنشاء؛ فما هو الإنشاء لغة، واصطلاحاً؟

* **لغة:** وردت كلمة الإنشاء في ترسانة المعاجم مصدرها الفعل "أنشأ" يقال "أنشا السحاب يمطر، بدأ، وأنشا دارًا بدأ بناءها... فانشا يفعل كذا، ويقول كذا: ابتدأ وأقبل وفلان ينشى الأحاديث يضعها"[7]. كما نجد أن لفظة "أنشأ" في المعجم الوسيط لا تخرج عن الحكي والشروع والتأليف ومن ذلك: "أنشأ فلان يحكي الحديث، وأنشأ السحاب يمطر، والشيء أحدثه وأوجده، وأنشأ الشاعر قصيدته أو الكاتب مقالته: ألفها... والإنشاء عند الأدباء: فن يعلم به جميع المعاني والتأليف بينها، وتنسيقها ثم التعبير عنها بعبارات أدبية بليغة"[8].

وإذا تأملنا هذه الكلمة في تاج العروس لا تعيد عن معنى الابتداء والإقبال: يقال: أنشأ فلان يحكى حديثا، أي جعل يحكيه، وهو من أفعال الشروع - وأنشأ يفعل كذا: ابتدأ وأقبل... وقال ابن جني: في تأدية الأمثال على ما وضعت عليه: يؤدي ذلك كل موضع على صورته التي أنشئ في مبدئه عليها، فاستعمل الإنشاء في الغرض الذي هو الكلام"[9]. فجل بل كل المعاجم التي تفحصا فيها معنى هذه الكلمة، وجدناها لا تألف سوى معنى الابتداء والإقبال والإيجاد والشروع.... وهذا ما تؤديه كتبنا البلاغية الحديثة، حيث مفهوم الإنشاء في واحد من كتب البلاغة بمعنى " الإيجاد والإحداث"[10].

اصطلاحاً: أما حقيقة الإنشاء في الاصطلاح فهو "مالا يحتمل الصدق والكذب لذاته نحو: اغفر وارحم، فلا نسب إلى قائله صدق أو كذب... أو مالا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلا إذا تلفظ به"[11]. نحو قول القائل: اللهم اغفر وارحم لفلان؛ فهنا لا ينسب إليه الصدق أو الكذب. كما يأتي بمعنى: " الكلام الذي ينشئه صاحبه ابتداء دون أن تكون له حقيقة خارجية يطابقها أو يخالفها. فلا يحتمل الصدق أو الكذب"[12].

كما يقول البلاغيون في تعريف الإنشاء: "هو ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلا إذا تلفظ به"[13]. نحو قولك لا تلعب بالنار، فإن الذي تكلمه لم يكن قد لعب بالنار وهذا هو المقصود عند البلاغيين وانطلاقا مما سبق يبدو لنا جليا أن الإنشاء في البلاغة هؤلاء كلام لا يحتمل الصدق والكذب".

ثانياً: أقسام الأفعال الإنشائية:

ينقسم هذا الفرع من فروع علم المعاني بدوره إلى قسمين:

إنشاء طلبي، وإنشاء غير طلبي على حد قول الخطيب القزويني: "الإنشاء خبران طلب وغير طلب"[14].

أ-الإنشاء الطلبي: وتعريفه: "هو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، فعند ما نقول للآخر: أكتب نطلب منه ذلك، وعندما يقول الشاعر:

ليث الكواكب تدنولى فأنظمها عقود مدح فما أرضي لكم كلمي

إنما يتمنى شيئاً غير موجود، فلم تكن الكواكب في متناول يده لينظم منها عقودًا تليق بمن يمدحه، وهذا النوع من الإنشاء هو ما عنى به البلاغيون"[15].

صيغ الإنشاء الطلبي: يأتي الإنشاء الطلبي بصيغ الأمر والنهى، والاستفهام، والتمني ، والرجاء، والنداء"[16].

وهناك من اقتصر على خمسة صيغ: "الأمر، والنهى، والاستفهام، والتمني، والنداء"[17].

ثالثاً: الفرق بين الجملة الخبرية والإنشائية :

ومما سبق في هذا المبحث يمكن أن تعرف بأن الجملة الخيرية هي الجملة التي تحتمل الصدق والكذب بحسب مطابقة الكلام الواقع.

مثال:

- السماء صافية.
- جاء الطالب إلى المدرسة.

والهدف منها نقل معلومة أو تقرير عن شيء حدث أو لم يحدث ولها نوعان:

1- خبرية مثبتة: مثل "الولد مجتهد".
2- خبرية منفية: مثل "ما جاء محمد".

والجملة الإنشائية وهى التي لا تحتمل الصدق أو الكذب عند النطق بها، بل يقصد بها إنشاء شيء جديد الطلب، أو تعجب، أو دعاء.

مثال:

- اغفر لنا يا رب.
- ما أجمل السماء !
- هل حضرت الدرس؟

وأنواعها: طلبي وغير طلبي كما وضحنا سالفاً.

إذن إن فهم الفرق بين الجملتين الخبرية والإنشائية يسهم في تعميق فهم النصوص العربية، وخاصة في مجال البلاغة، حيث يظهر جماليات التعبير ودقة اختيار الأساليب حسب المقام والسّياق.

تعدّ نظرية الأفعال الكلامية من أبرز النظريات في فلسفة اللغة المعاصرة، وقد ساهمت في تحويل النظر إلى اللغة من مجرد أداة لنقل المعلومات إلى وسيلة لإنجاز الأفعال، وتعود جدور هذه النظرية إلى الفيلسوف الإنجليزي جون أوستن ثم طورها لاحقا تلمينه جون سيرك، فأصبحت أكثر دقة وتنظيماً.

المبحث الثاني : لمحة عن النظريات التداولية ذات الصلة

أولاً- دور أوستين في تأسيس النظرية:

يعتبر جون أوستين (JL-Austin) المؤسس الأول لنظرية الأفعال الكلامية، حيث طرح أفكاره في محاضراته التي نشرت لاحقاً في كتابه المشهور: كيف تنجز الأشياء بالكلام، (1962) وقد بين "أوستين" (Austin) أن اللغة ليست مجرد وسيلة لنقل المعاني، بل وسيلة لإنجاز الأفعال، ورفض التمييز التقليدي بين الجملة الخيرية والإنشائية، مبرراً أن بعض العبارات تؤذي أفعالاً بمجرد التلفظ بها[18].

أ- ميز "أوستين" بين نوعين من الأفعال:

- أفعال إخبارية تقريرية (connotative): وهي أفعال تصنف حقائق العالم الخارجي وتكون صادقة أو كاذبة .
- أفعال إنشائية (أدائية) (per formative): تؤدي بها أفعال في ظروف ملائمة، ولا توصف يصدق ولا كذب، بل تكون ناجحة أو غير ناجحة طبقا لمعيار المواءمة والمخالفة"[19].

ب- وقد قسّم أوستين (Austin) الأفعال الكلامية إلى ثلاثة أنواع:

- الفعل الإنجازي (locutionary Act) هو التلفظ بجملة ذات معنى نحوي ومعجمي.
- الفعل التضميني (cillocutionary Act): هو ما ينجزه المتكلم من خلال القول، كالأمر أو السؤال.
- الفعل التبعي (per Locutionary Acts): هو الأثر الذي يحدثه الكلام في السامع، مثل الإقناع أو التخويف [20].

ثانياً- دور سيرل في تطوير النظرية:

عمل الفيلسوف الأمريكي جون سيرل (J-seamle) على تطوير نظرية أستاذه أوستين (Austine)، وصاغها بشكل منهجي ومنظم في كتابه "الأفعال الكلامية" (1969) واهتم سيرل (seante) بتحليل البنية الداخلية للأفعال الكلامية، فقد ظهرت على يده نظرية منتظمة sysematic لاستعمال اللغة بمصطلحات الأفعال الكلامية على أن الكلام محكوم بقواعد مقصدية intentional وأن هذه القواعد يمكن أن تعدد على أسس منهجية متصلة باللغة [21].

أ- إنجازاته:

1- قام بتعديل التقسيم الذي قدمه أوستين للأفعال الكلامية حيث يرى سيرل في كتابه (أفعال الكلام speech acts) أننا تقوم بأربعة أفعال حين تنطق بجملة أو تتلفظ بقوله ما:

أ- التلفظ بالكلمات (وجملا ومورفيمات) أي إنجاز فعل التلفظ.

ب- الإحالة والإسناد أي إنجاز فعل القضية أو الجملة.

ج- التقرير السؤال، الأمر الوعد، أي إنجاز فعل قوة التلفظ... ثم يضيف له ما قدمه أوستين يجسد النتائج والتأثيرات التي تحدثها الأفعال الإنجازية السابقة على أفكار وأفعال ومعتقدات المستمع"[22].

ب- قسم سيرل الأفعال التضمينية إلى خمسة أنواع :

1- التوكيدات (Assertives): كالأخبار، والتوضيح والتقرير.
2- التوجيهات (Directives): كالأمر، والطلب، والنصيح.
3- الوعديات (commissives): كالوعود، والتعهدات.
4- التعبيريات (Expressives): كالشكر، والأعتذار، والتهنئة.
5- الإعلانيات (Declarations): وهى الأفعال التي تُغير الواقع بمجرد النطق بها مثل: التسمية، والزواج، والطلاق [23].

وقدر ركز سيزل (seable) على نية المتكلم وشروط نجاح الفعل الكلامي، مبيناً أن لكل فعل شروطاً يجب تحققها ليؤدي وظيفة معينة.

ولقد شكل كل من أوستين وسيرل منعطفاً مهماً في فهم اللغة البشرية، فبينما وضع أوستين الأساس النظري

لاعتبار اللغة فعلاً، قام سيرك بتنظيم هذه النظرية وتقديمها بشكل أدق. وقد أثرت هذه النظرية في عدد من المجالات كاللسانيات، وتحليل الخطاب، وعنوان الفلسفة، وحتى الذكاء الاصطناعي.

المبحث الثالث : دلالات السياق في الدراسات البلاغية العربية القديمة:

يحتل السياق مكانة مركزية في فهم النصوص وتحليلها. وقد أدرك البلاغيون العرب منذ وقت مبكر أن المعاني لا تستخلص من الألفاظ وحدها، بل من علاقاتها بمقامات الاستعمال، ورغم أن مصطلح « السياق، لم يكن شائعاً بصيغته الحديثة، فإن آثارة واضحة في بلاغية متعددة مثل المقام، والحال، ومقتضى مفاهيم الحال، والخطاب بحسب المستمع - تجليات السياق عند البلاغيين:

أولاً - الجرجاني (ت47هـ):

في كتابه دلائل الإعجاز، شدّد عبد القاهر الجرجاني على أن معنى الكلام لا يتوقف على مفرداته، بل على علاقات التراكيب، وهذا يدل على وعيه بالسياق التركيب والنصي، كما أكد على أهميته ويقول في هذا السياق: " إن الناس يحلم بعضهم بعضاً ليعرف السامع غرض المتكلم ومقصده الرامي والهادف إليه"[24].

ثانيا - السكاكي (ت 626 هـ):

في مفتاح العلوم، أشار إلى أن البلاغة تتحقق عندما يناسب الكلام مقتضى الحال، وفرق بين أنواع الفصاحة والبلاغة بناءً على مراعاة المقام، فهو يربط البلاغة بالملاءمة السياقية بين المعنى والغرض ومن هنا اتضحت علاقة الخروج عن الأصل، يقول السكاكي: " وحتى امتنع إجراء التمني، تولد بمعونة قرينة الحال، معنى السؤال"[25].

ثالثاً - الزمخشري (ت 538هـ):

في تفسير الكشاف، استثمر السياق لفهم دلالات القرآن الكريم - وكان يستخدمه لتوجيه المعنى النحوي والبلاغي والبياني. وقد برز في استخدام سياق الآية أو السورة أو المقام العام للخطاب، ومنه قوله تعالى: [وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ] [البقرة آية: (228)]، قال الزمخشري: "هو خبر في معنى الأمر"[26].

رابعاً- ابن جنى (ت 392هـ):

وهو من أوائل علماء العربية الدين اقتربوا من مفهوم السياق وإن لم يستخدم المصطلح نفسه. وقد أسهم في التأسيس النظري لكثير من الأفكار اللغوية التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بما يعرف اليوم بـ "نظرية السياق".

ولقد قسم ابن جنى الكلام إلى إنشاء وخبر واكد أن الخبر لا يتم إلا بجملة، وهو يقصد بالجملة ما تألف من مستند ومسند إليه، حتى توضع أن الفائدة تحصل من مجموع الكلام في معنى واحد، وليس في عدة معان حسب الجرجاني ومعاصريه[27].

- إذن يقصد بالسياق في المفهوم البلاغي مجموعة الظروف والمقامات التي تحيط بالكلام وتؤثر في تفسيره، مثل: حال المتكلم والمخاطب، الزمان والمكان، غرض القول والعلاقة بين أطراف الكلام [28].

وقد عبر عن هذا المفهوم بمصطلحات مثل مقتضى الحال - ملاءمة الكلام للغرض، معرفة المخاطب، النظر في المقام... ولهذا كان للسياق دور كبير في الدراسات البلاغية العربية القديمة وقام بدراسة هذه النظرية من المحدثين كل من: طه عبد الرحمن، وأحمد المتوكل، ومسعود صحراوي وغيرهم الدين قاموا بإثراء هذه النظرية بأعمال. تميزت بالدقة والصرامة العلمية.

المبحث الرابع: السياق ودوره في تحديد دكالة الأفعال الإنشائي "دراسة تحليلية لسورة الإسراء نموذجاً":

تُعدّ الأفعال الإنشائية من أبرز الوسائل التعبيرية في النصوص، وخاصة في القرآن الكريم، حيث تؤذي دوراً دلالياً وتواصلياً عميقاً يتجاوز ظاهرة البنية اللغوية وتبرز أهمية السياق ع توجيه هذه الدلالات الإنشائية، حيث لا يمكن فهم مقصد المتكلم (أو النص) دون استحضار ظروف المقام والمقال معاً، وتأتي سورة غنيّة بالأفعال الإنشائية التي تتنوع بين الأمر والنهي، والاستفهام والتفني وكلها لا تفهم إلا في إطارها السياقي:

أولاً - التعريف بسورة الإسراء (سبب النزول):

ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم تقريش الإسراء وتكذيبهم له، فأنزل الله ذلك تصديقا له.

فبعد أن عاد النبي - صلى الله عليه وسلم - من الإسراء والمعراج، خرج إلى المسجد الحرام، وأخبر به قريشاً. فتعجبوا منه لاستحالة ذلك في نظرهم... وقالوا: "ما هذا إلا سحر مبين"[29].

ثانياً - أسماء سورة الإسراء:

سميت في كثير من المصاحف سورة الإسراء - وتسمى أيضا في عهد الصحابة سورة بني إسرائيل فعن عائشة -رضى الله عنها - قالت: كان النبي - صلى الله عليه وسلم- كان لا ينام حتى يقرأ الزمر وبني إسرائيل)[30].

ثالثاً- تصنيف السورة وعدد آياتها:

السورة مكية بالاتفاق، وآياتها مائه وإحدى عشر آية، وكلماتها ألف وخمسمائة وثلاث وستون وحروفها ستة الآف وأربعمائة وستون، والمختلف فيها آية واحدة [31].

رابعاً - ترتيبها السابعة عشر في القرآن وتبدأ بالتسبيح وتنتهى بحمده.

المبحث الخامس:

أولاً - الأمر:

تُعد سورة الإسراء من السور المكية التي اعتنت بالجانب العقائدي والتربوي، ومن أبرز الوسائل التي اعتمدتها في توجيه الخطاب استخدام أسلوب الأمر.

وتكمن أهمية هذا الأسلوب في أنه لا يفهم بمعناه العرفي فقط، بل تتغير دلالته بحسب السياق.

فقد يخرج الأمر عن معناه الأصلي (الطلب الجازم) إلى معانٍ بلاغية أخرى مثل التهديد، والإرشاد والدعاء أو التمني وفقاً للقرائن اللفظية والمقامية ومن الأمثلة على أثر السياق في أساليب الأمر ما يلي :

1- قوله تعالى [قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لاَّبْتَغَوْا] [الإسراء آية: (42)]

نبدأ - بعون الله بتفسير الآية الكريمة ومعرفة نوع "الأمر" من الناحية البلاغية "والمخاطب بالأمر بالقول هو النبي صلى الله عليه وسلم لدمغهم بالحجة المقنعة بفساد قولهم.

وللاهتمام بها افتتحت بـ (قل) تخصيصاً لهذا بالتبليغ وإن كان جميع القرائن مأمورًا بتبليغه"[32]، والمتكلم هو الله، أمر النبي بأن يرى إلى المشركين أن لا اله إلا الله كما قد قالوا من قبل، لذلك أن هذا الكلام يدل على معنى الإرشاد.

ومعنى النصح والإرشاد: "وهو الطلب الذى لا تكليف ولا الزام فيه، وإنما هو طلب يعمل بين طياته معنى النصيحة والموعظة والإرشاد"[33].

2- قوله عز وجل: [وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] [الإسراء آية: (53)].

نبدأ بتفسير الآية أولاً معرفة نوع "الأمر" من الناحية البلاغية ثانياً، ومعنى وقل لعبادي "وقل للمؤمنين يقولوا للمشركين الكلمة التي هي أحسن وألين ولا يخاشنوهم، كقوله وجادلهم بالتي هي أحسن.

وفسر التي هي أحسن بقوله ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم يعني يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها، ولا يقولولهم: إنكم من أهل النار وإنكم معذبون وما أشبه ذلك"[34].

والمتكلم هو الله. أمر الله المسلمين بأن يقول قولاً حسناً في موجهة المشركين أو المهينين للنبي والقرآن تليين قلوبهم لذلك أن هذا الكلام يدل على التأدب من خلال سياق الآية.

ومعنى التأدب من الناحية البلاغية:

التأدب: هو ما يكون لتهذيب الأخلاق والعادات نحو: كل مما يليك [35].

2- قوله عز وجل: [قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ] [الإسراء آية: (56)] ومعنى هذه الآية من حيث التفسير القرآني هو أي: "ادعوهم مهم لا يستطيعون أن يكشفوا عنكم الضر من مرض أو فقر أو عذاب، ولا أن يحولوه من واحد إلى آخر أو يبدلوه... إن عذاب ربك كان حقيقاً بأن يحدده كل أحد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم"[36].

(قل)، ودر "ادعوا"، المتكلم هو الله، أمر الله النبي بدعوة المشركين إلى الإنصاف من ذنوبهم والانتباه إلى ضعف آلهتم لذلك خرج الكلام من معني الأمر وهو الطلب والالتزام إلى معنى التهديد وذلك من خلال سياق الآية.

ومعنى التهديد من الناحية البلاغية هو: التهديد: "ويكون باستعمال صيغة الأمر من جانب المتكلم في مقام عدم الرضا منه بقيام المخاطب بفعل ما أمر به تخويفاً وتدريراً له"[37].

ثانياً - الاستفهام:

يمثل الاستفهام أحد الأساليب الإنشائية التي يستخدمها القرآن الكريم لإثارة الانتباه، وتحفيز التفكير وتوجيه الخطاب وفق غايات بلاغية متعددة.

وفى سورة الأسراء، يتكرر الاستفهام ليؤدي وظائف دلالية متنوعة ما يعكس عناية النص القرآني باستخدام الأسلوب بما يناسب سياق لتأدب والتوجيه ... الخ ومن الأمثلة على أثر السياق في أساليب الاستفهام مايلي:

1- قوله تعالى: [أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ المَلائِكَةِ إِنَاثاً] [الإسراء آية: (40)]

يوضع صاحب الكشاف في تفسير هذه الآية: المعنى "فأصفاكم خطاب للدين قالوا "الملائكة بنات الله" والهمزة للإنكار، يعني أفحصكم ربكم على وجه الخلوص

والصفاء بأفضل الأولاد وهم البنون، ولم يجعل فيهم نصيباً لنفسه، واتخذا دونهم وهى البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم...."[38].

وهذا الإنشاء الطلبي بأداة الاستفهام (أ) فأن المستفهم هو الله يستفهم من المشركين أجديد عليهم إشراك بالله، لأنهم يظنون بأن الملائكة أبناء الله ويعتبرون إناثا، فلذلك أن هذا الاستفهام من خلال سياق الآية الكريمة يدل على معنى الإنكار.

ومعنى الإنكار من الناحية البلاغية هو: "الدلالة على أن المستفهم عنه أمر وقع في الماضي، أو لتوبيخ عن أمر وقع في الحال، أو إنكار التكذيب في الماضي..."[39].

2- قوله تعالى: [أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ] [الأحقاف آية:(33)]

ويوضح ابن عاشور في تفسير معنى هذه الآية: "الاستفهام في أولم يروا إنكاري منسوب بتعجيب من انتقاء علمهم، لأنهم لما جرت عقائد هم على استبعاد البعث كانوا بحال من لم تظهر له دلائل قدرة الله تعالى على إعادة الخلق ومع علمهم أبوا إلا كفورا، فالتفريغ من تمام الإنكار عليهم والتعجيب من حالهم"[40].

أداة الاستفهام (أ) والمستفهم هو الله، يستفهم من المشركين ألم ينظرون بعيون قلوبهم أن الله هو الذي خلق السماوات والأرض، إذن معنى الاستفهام في هذه الآية يخرج عن معناه الحقيقي إلى معنى الأذكار والتعجيب بمعنى التحقير.

أمّا الأنكار ثم تعريفه من الناحية البلاغية في الآية السابقة.

والتحقير هو "عند ما يكون الغرض من الاستفهام الإزراء بالمخاطب والتقليل من شأنه وقدراته"[41].

2- قوله عز وجل: [وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ...] [البقرة آية: (34)]

يوضع ابن عاشور نوع الاستفهام المفهوم من سياق الآية ويقول: "الاستفهام في أأسجد إنكار، أي لا يكون"[42].

هذ الكلام إنشائي طلبي بأداة الاستفهام (أ) والمستفهم هو الشياطين، طلبوا من الله. هم يقولون أيسجلون لآدم الذي خلقه الله من الطين، فلذلك أن هذا الاستفهام إنكاري يدل على معنى النهي .

"وإما إنكار للتكذيب في الحال أو في المستقبل بمعنى (لا يكون)،.... ويجب في الاستفهام الإنكاري أن يقع بعد همزة الاستفهام"[43].

ثالثاً - النهي:

تتناول سورة الإسراء في آياتها أسلوب النهي في الأفعال الإنشائية، حيث تنهى عن أمور منها الشرك بالله والزنا والظلم... الخ.

وسياق النهي في سورة الإسراء من المواضيع المهمة في دراسة دلالة الأفعال الإنشائية، وذلك لا النهي يستخدم في القرآن لأغراض متعددة منها: التوبيخ، والتحريم، والتهريب، والإرشاد، والزجر الخ ومن الأمثلة على أثر السياق في أساليب النهي ما يلى:

1- قوله تعالى: [وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ...] [الإسراء آية: (36)]

ويوضع الزمخشري "المراد: النهى عن أن يقول الرجل ما لا يعلم، وأن يعمل بما لا يعلم، ويدخل فيه النهى عن التقليد دخولاً ظاهر..."[44].

فعل النهي (ولا تقف)، وكان المتكلم أي سأل الله عبيده أن لا يقولوا قولا ليس لهم به علم وأن لا يعترفوا ما لم يعرفوه وأن لا يسمعوا عالم يسمعوا لأنه كان عنه مسؤولا. لذلك أن هذا الكلام يدل على معنى الإرشاد.

ومن الناحية البلاغية "النصح والإرشاد: وذلك عندما يكون النهي يعمل بين ثناياه معنى من معاني النصح الإرشاد"[45].

2- قول عز وجل: [وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً] [الإسراء آية: (37)]

ومعنى النهى في هذه الآية (لاتمش) نهى عن خصلة من تخرق الأرض استئناف ناشئ عن النهي بتوجيه خطاب تان في هذا المعنى على سبيل التهكم، أي أنك أيها الماشي مرحاً لا تحرق بعشيك أديم الأرض... والمقصود بالتحكم التشنيع بهذا الفعل، فدل ذلك على المنهي عنه حرام لأنه فساد في خلق صاحبه وسوء وإهانة للناس بإظهار الشفوف عليهم وإرهابهم يقوله"[46].

الكلام الإنشائي الطلبي بصيغة فعل النهي (لا تمش) وكان المتكلم أي سأل الله الجميع أن لا يمش في الأرض فارحاً وفاخراً ومتكبراً.

فإنه لن تخرق الأرض مهماً يتباهى القدم ولن يبلغ المرء الجبال مهما كبر الشعور، لذلك أن هذا الكلام يدل على معنى التحكم أو بمعنى الكرامة.

والتهكم من الناحية البلاغية "السخرية والاستهزاء، وهو إظهار عدم المبالاة بالمستهزأ المتهكم به ولو كان عظيماً"[47].

3- قوله تعالى: [ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الحِكْمَةِ وَلاَ تَجْعَلْ] [الإسراء آية: (39)]

ومعنى النهي في هذه الآية "ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوماً محسورًا عطف على جمل النهى المتقدمة، وهذا تأكيد لمضمون جملة ألا تعبدوا إلا إياه. [الإسراء: 23]، أعيد لقصد الاهتمام بأمر التوحيد بتكرير مضمونة وبما رتب عليه من الوعيد بأن يجازي بالخلود في النار مهاباً"[48].

الكلام الإنشائي الطلبي بصيغة فعل الذهبي (ولا تجعل) وكان المتكلم أي سأل الله عبده الاعتقاد بوحدانية الله، لأنه يجب حفظه وممارسته، ولذلك أن هذا الكلام يدل على معنى التهديد.

ومعنى التهديد من الناحية البلاغية "وذلك عندما يقصد المتكلم أن يخوف من هو دونه قدرا ومنزله عاقبة القيام بفعل لا يرضى عنه المتكلم".

رابعًا ـ التمني:

التمني كما هو معلوم: طلب أمر محبوب لا يرجى حصوله أو يرجى مع عُسره، وهو يختلف عن الترجي؛ لأن التمني فيه بعد الأمل أو استحالته.

أدوات التمني: أشهرها (ليث). وأحيانا يستفاد من كلمات أو تراكيب تحمل معنى التقني، مثل: (يا ليث: هل، لولا، لعلّ) في بعض السياقات.

ومواضع التمني في سورة الإسراء وجد في آيتين يدل على المعنى الحقيقي لتمني وهما:

- قوله تعالى: [وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ] [الإسراء آية: (74)].
- قوله عز وجل: [قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ...] [الإسراء آية: (95)]

بعد نظرت الباحثة إلى الكلمات التي تحتها خط فعرفت أن كلها تدل على التمني الموجودة في سورة الإسراء تتكون من كلمتين.

خامساً ـ النداء:

النداء من أبرز الأساليب الإنشائية الطلبية في اللغة العربية، وهو وسيلة بلاغية تستخدم لطلب إقبال المنادى بحرف نائب مناب الفعل (أدعو) أو (أنادي) ولكن ما وجدت الباحثة أسلوب النداء في سورة الإسراء.

الخاتمـــــــة :

1- السياق عنصر جوهري في فهم دلالات الأفعال الإنشائية.

2- التنوع الأسلوبي في سورة الإسراء يخدم أهداف السورة في الهداية والإصلاح.

3- الأفعال الإنشائية تفهم في ضوء السياق ، لا بالاعتماد على شكلها فقط.

4- الإنشاء جاء متنوع الأساليب لخدمة أغراض متعددة: ترهيب، وتربية، ودعوة، وتوحيد... الخ .

5- ورود الأمر بكثره في سورة الإسراء مقارنة بغيره من الأساليب الإنشائية في السورة ذاتها.

6- تذكر أدوات الاستفهام التي وردت في سورة الإسراء وتوضيح المعاني السياقية لأدوات الاستفهام ومنها ما ورد للأحكام ومنها التوبيخ والتهديد، والتهكم...الخ.

7- النهي في بعض الأساليب الإنشائية لس المقصود منها المعاني البلاغية التي تستفاد من السياق والمقام.

8- تعد التمني من الأساليب النحوية التي تزخر بها اللغة العربية وقد ورد في سورة الإسراء في موضعين، فقط ووردت بمعناها الحقيقي، ولم يأت بأداته الرئيسية "ليث".

9- لم يرد أسلوب النداء في سورة الإسراء أبداً.

بيان تضارب المصالح

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة.

هوامش البحث :

(1) لسان العرب، ابن منظور، دار الصادر المكتبة العتيقة، بيروت، ط3، مادة ساق، 166/10.

(2) معجم مقايس اللغة، أحمد بن فارس، الناشر دار إحياء التراث العربي، ط1، 2001، 117/3)

(3) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الناشر مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط2، 1976، 464/1.

(4) الإتقان في علوم القرآن، الشيخ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت،1421ه، ج2، ص288.

(5) معجم علم اللغة النظري، محمد على الخولي، مكتبة لبنان، ط1، 1982م، ص156.

(6) دلالة السياق، رساله مقدمة لنيل شهادة الدكتورة في علم اللغة، د. رده الله الطلحي .

(7) ينظر لسان العرب، ابن منظور، تح، عبدالله على الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشادلي، دار المعارف، القاهرة، (د.ط) ، ص 4419.

(8) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسني الزبيدي، تح عبدالستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، (د.ط) 1965م،ج1، ص466.

(9) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004م، ص950.

(10) مدخل إلى البلاغة العربية، يوسف أبو العدوس، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2007م، ص 63 .
(11) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي الناشر المكتبة العصرية للطباعة، 1999، ص69.
(12) دروس في البلاغة العربية، الأزهر الزناد، ط1، بيروت، المركز الثقافي العربي، 1992م، ص107.
(13) الكافي في العلوم العربية، عيسى علي العاكوب وعلى سعيد الشتيوى، الناشر الجامعة المفتوحة، 1993م، ص250.
(14) البلاغة الاصطلاحية، عبده عبد العزيز قليقله، عبد العزيز قليقله، دار الفكر العربي، القاهرة، 1922م، ص148.
(15) ينظر دراسة في علم المعاني، توفيق الفيل، مكتبة الآداب، مصر، 1991، ص198.
(16) الموجز الكافي في علوم البلاغة والعروض الساقي للطباعة ، مصر ، 1993م، ص17.
(17) جواهر البلاغة ، أحمد الهاشمي ، ص70.
(18) ينظر آفاق جديدة البحث اللغوي المعاصر، محمد أحمد نخلة، دار المعرفة الجديدة، مصر، 2002، ص63.
(19) ينظر التواصل والحجاج، عبدالرحمن طه، د.ط، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2008، ص11.
(20) آفاق جديدة البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نخلة، ص71.
(21) أفعال الكلام.. كيف ننجز الأشياء بالكلمات، عرض وترجمة منصور المجالي، العرب أونلاين، www.Lissaniat net. 30/07, 2003
(22) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نخلة، ص78-80.
(23) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي - القاهرة - 1984، ص357.
(24) مفتاح العلوم، السكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م، ص304.
(25) الكشاف، الرمحشري، تح مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، ط3، 1987، ج1، ص137.
(26) ينظر الخصائص، ابن جنى، لتحقيق محمد على النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، بيروت، لبنان ، ط2، 1952م، ج1، ص18.
(27) ينظر التداولية عند علماء العرب، دراسة تداولية الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة الطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص219.
(28) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي ، دمشق، دار الفكر ط1، 1430ه، 12/8.
(29) ينظر في سنن أبوابه الدعوات، رواه الترمذي، رقم الحديث 3405، حكم الآلباني صحيح الترمذي واللالباني 339/3.
(30) بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي، الناشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 2008، 288/1.
(31) التحرير والتنوير، ابن عاشور، دار النشر التونسية للنشر، تونس، 1984م، 110/15.
(32) علم المعاني عبد العزيز عتيق، دار الكتاب العربي، ط3 ، 1420م، ص78.
(33) الكشاف، الزمخشري تح: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، ط3، 1987م، 672/2.
(34) علوم البلاغة البيان المعاني البديع، المراغي، ص76.

(35) الكشاف، الزمخشري 2، 673.
(36) علم المعاني، عبد العزير عتيق، ص80-81.
(37) الكشاف، الزمخشري، 668/2.
(38) ينظر علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص102.
(39) ينظر : التحرير والتنوير، ابن عاشور، 220/15-222.
(40) ينظر علم المعاني، عبدالعزيز عتيق، ص87.
(41) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 149/15.
(42) علم المعاني، عبد العزيز عتيق ، ص103.
(43) الكشاف، لزمخشري، 666/2.
(44) علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص86.
(45) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 103/15-104.
(46) علم المعاني عبد العزيز عتيق، ص104.
(47) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 106/15.
(48) علم المعاني، عبد العزيز عقيق، ص88 .